فاعلية الحسين عليه السلام رمزاً في شعر أدونيس والماغوط

المدرس
أنفال جاسم محمد
جامعة ذي قار- كلية الآداب

فكرةُ البحث:

تنطلق من قراءة تأويلية تنبئ عن ما في اللغة من قصور ينأى بها عن استيعاب ما جال في خلجات الشاعر من توهج معنى، انها لحظة فذة لا يكرسها نظام لغوي بعلاقة تسمّرت امام مشهد الدال والمدلول، هنا يأتي الرمز سانداً للغة، يسعف اختناقها ليملأ رئتها بتنفس رسالتها بما ابعد من التقوقع المعجمي المركزي. فيظهر الرمز وسيطا بين غليان المنتج وتلهف المتلقي ومن وراء ذلك يبغي الرمز تكثيف الدال وإيحاء الصورة.. وكلما غاص المنتج في وعي رمزه وتعمق في كشف خباياه كلما تنشط النص ليغدو متفردا في متعته والهامة.

منهج البحث:

سار البحث في ضوء منهج تحليلي تأويلي لم يغفل دور التشكلات الثقافية في بناء نص شعري ورسم خارطته بألوانها الاثرائية على صعيد المنتج والمتلقي أو العملية التواصلية بعامة.

هدف البحث:

توزع على جانبين: الاول: عنى ببيان ملامح إضافية غير معهودة شعريا في رمزية الحسين عليه السلام وفاعليتها المخصوصة دون غيرها من الرموز بل بكثافة الرمز وما ارتبط بإجادة توظيفه من قدرة في المنتج ونموذجية لدى المتلقي. **الجانب الثاني:** تبيان خصوصية الرمز ومن ثم فاعليته عند شاعرين يعدان أنموذجين للحداثة حيث الوقوف على توظيفها رمز الحسين عليه السلام يعني كشف آخر توصيفاته الشعرية. إلى جانب هذه الميزة هناك قاسم الثقافة المشترك بينهما إذ تتراكم لديهما المعرفة على تنوعها لتهيمن على نصوصهما ثقافة تؤهلهما لأنْ يتعمقا في ماهية الرمز المقدس ويحفرا في مداليل سُكت عنها واُغفلت وغُفلت.. لكن ثمة

مفارقة بينهما على صعيد اسلوبية النص إذ يميل نص ادونيس إلى الغموض وتكثير الرموز وتقنيات تفعيلها في حين يأخذ نص الماغوط طابع الوضوح النسبي وعدم الإكثار من الشخصيات بالقدر الذي يرصد عند ادونيس.

خطة البحث:

ـ ماهية الرمز .

ـ توظيف الرمز شعريا

ـ تقنيات توظيف الرمز

ـ انهيار الزمن وتسامي الرمز

ـ ادونيس والماغوط ابداع متماثل ببصمة متباينة .

ـ الحسين عليه السلام رمز تشاكل المعاني ومتكأ اللغة

ـ ماهية الرمز:

باختراع الرمز ولدت هوية الفرادة لتجنى عبقرية التعارف به وعليه ،اختراع منقوص حقيقةٍ وفي نقصه جماله وألمه يعكس غموضا لذيذا ومرا ويحكي حال مصطلحه الذي لا زال يستكشف ذاته بالتأمل والتجريب ويعبر عنهما بالرمز ليصير إلى غموض الدال انه أقصى ما جادت به حاجة وافضل من يعبر عن تجربته تعبيرا لا يوصد بابا وكثيرا ما فتح الابواب تجاه المزيد وهيج الراكد بوخز الدوال وتباين تحليلاتها وفي بحثنا للرمز ايقاظ للتنوع في مدركات ثابت في النطق والخط يحكي ذلك ابن منظور (رمز: الرمز تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت، إنما هو غشارة الشفتين، وقيل: الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم والرمز في اللغة كل ما اشر تاليه مما يبان باللفظ بأي شيء اشر تاليه بيد أو بعين... ورمزته المرأة بعينها ترمزه رمزاً: غمزته)[1] انه يدمج مدلولين خلقت احدهما العبقرية وتوزع الاخر بينها وبين الفطرة لا لبس عنده لكن لأننا فتشنا عن مفردة استعاض عنها هو ومجايلوه بألفاظ لغة وكلام ونطق وحديث[2] اما هذا المصطلح فلم يكن من شأنهم بحثه لكنه وضع زبدة فكرته

القائمة على كشف دال عن مدلول.. اكتفى علماء العربية بملامح سيمائية عن المصطلح تركز في ايصال معنى إلى الاخر و ترد لفظة علامة بديلا عن مصطلح رمز عند دي سوسير فاللغة نظام من العلامات والعلامة هذه تتأسس على دال صوتي ومدلول ذهني هما وجهان لعملة واحدة[٣] لم تشبع ثنائية دي سوسير هذه اوجدن وريتشاردز فهي تصادر تلك الواسطة بين الدال والمدلول أي الفكرة التي تثلث ثنائية دي سوسير نحو مثلث دلالي يشيران فيه إلى اهمية الربط بين الكلمات التي ترمز إلى الاشياء بوساطة الافكار فالرمز هو الحامل الحسي للفكرة وللسيميائين رؤية أشمل للعلامة إذ جعلوها مأوى تجتمع فيه الدوال الثلاثة (الإشارة والإيقونة والرمز)[٤] على اختلاف بمدلولاتها بحسب علاقة كل منها بمدلولها فعلاقة الايقونة بمدلولها تعتمد المشابهة مثلما في علاقة الصورة بصاحبها في حين تكون مع الاشارة أو الدليل مسببية كعلاقة الدخان بالنار وهي علاقة واقعية فعلية، ووجدوا ان العلاقة بين الرمز ومدلوله اعتباطية مثلما رأى سوسير في العلامة اي ان الرمز لديهم يساوي العلامة عند دي سوسير في حين يستوعب مصطلح علامة عندهم الثلاثية السيميائية... لم تكن مفاهيم الرمز عند هؤلاء اللغويين والفلاسفة مجردات مصطلحية مقصوصة من واقع لا ينتمي إلى سياق اللغة ومن ثم الحياة وحتى ما صدر عنهم من تجريدات لم يعدو الطرق المصطنعة في العزل المنهجي ان معالجتهم لم تتخل عن أحاسيسهم بالنصوص والواقع، فالوجه الاخر من معالجة اللسانين والفلاسفة يكشف الشعور المضمر تحت الاصطلاح التصوري انه حاضر بكثافة وما النظام عند سوسير والفكرة عند اوجدن وربشاردز و علامة الرمز عن السيميائيين الا منطقة لحدود مشتركة يتماهى فيها الدال والمدلول عبر القار في ذهنية المتلقي وليس ثمة طرف ثالث بين طرفي التواصل.

لم يستطع غوته ان يمضي في تأسيس الرمز لحساب تجريد فلسفي لساني عندما عاشه حالة تجمع " بين الذاتي والخارجي وتوحدهما... فحينما يمتزج الذاتي بالموضوعي يشرق الرمز الذي يمثل علاقة الإنسان بالشيء، وعلاقة الفنان بالطبيعة ، ويحقق الانسجام العميق بين قوانين الوجدان وقوانين الطبيعة "[٥] اذن الرمز بوابة مدلول لا تنتمي إلى عناصره لكنها ضرورية للدخول اليه ولولاه لضاقت المعاني على الحاضر انه ملفوف بالغموض ليفتح آفاق الخيال غموضه بدأ من مجهول تأسيسه وامتد إلى عجز متلقيه عن اقفال خزانة حقيقته وأمر الرامز يماثل تماما قول ذلك الراقص - في معنى رقصه - "لو استطعت ان اقول ما يعنيه لما

كانت بي حاجة إلى ان أفعله "[٦] وللرمز الابداعي خصوصية رمز الرمز عبر التجديد متجاوزا البحث الاصطلاحي والمدلولي الأولي ويعتكف في رمز جموح يقوده من امسك زمام الفكرة بقدرة اللغة المتوهجة يقول ادونيس: "لا يعطيني الاسم مسماه، أي ان اللغة لا تعطيني حقا الشيء الذي اسميه بها، الا بعد ان (تميته) فحين اقول (هذا الطفل) اكون قد (امته) إذ جردته من جسديته المادية، وحولته إلى فكرة، أو وجود ذهني. فبالتسمية (اللغة) تعطيني الفكرة مادتها، ويتجاوز الاسم مسماه ألم تتجاوز اسماء المبدعين الذين ماتوا وجودهم الجسدي؟ لقد ماتوا وجودا ذهنيا. بل إن (اسماءهم) هي نفسها "ماتت "لكي تصبح إشارة أو رمزاً"[٧] حتى لا يكاد يخطط لحدود فاصلة بين الرمز والاشارة في نصه الطليق فـ "الخط رمز وهيئة ثانية للكلمات - الحروف التي هي رموز ايضا، وهو امكان تشكل غير محدود، بوصفه امتدادا (محسوسا - واقعيا، ذهنيا، في آن. هكذا تشكل الخطوط بتآلفها ما يشبه المرايا التي تعكس الجهات غير المرئية من العالم المرئي. ومن هنا يبدو العالم، في تآلف الخطوط وفي تآلف الكلمات، نظاما من الاشارات. الانسان نفسه رمز واشارة. كل شيء رمز واشارة. الاشياء والكائنات كلها خطوط - رموز على هذه الصفحة التي نسميها العالم أو الواقع أو الوجود"[٨].

وفي الرمز مشكلة أواصر غير وثيقة في مداليلها الاولية يزداد وهنها شعريا مشكلته في علاقته باللغوي وغير اللغوي وعلاقته بتصورات الانسان المتنوعة ذات الحقول المتشعبة انه يحاول ان يختزل الحياة ويطوي بالكليات صفحات الجزئية لكنه اختزال جمالي يفسح للرمز بممارسة الايحاء ليصير إلى تعدد القراءات وتنوع التأويل بحجة الإبحار نحو الحقيقة المرموز إليه[٩] فـ"الرمز في إيحائه عما يحتويه، لا يعتمد على مبدأ التناظر أو التماثل، ولا يتوقف عند حدود المشابهة، بل ينبثق من خلال أبنية العلاقات الباطنة وما تفرزه من أنماط تناسبية ونظام لغوي مكتنز بالمحتمل، ويدفع بالمتلقي لإعادة خلق ترابط فكري محتدم يتجاوز حد الاحتفاظ المباشر للأشياء"[١٠] فللمنشئ والمتلقي ارادةٌ في إنتاجه، وتأويله بما تفرض عليهما معطيات النفس، والاجتماع بكل، محدداتهما وراثية أو بيئية .

- توظيف الرمز شعرياً:

في حصر الرمز بأنواع مجازفة معرفية فكل ما في اللغة صالح للترميز لكن من الرموز

ما اكتنز طاقةً كمن فيها اللغوي وغير اللغوي واصطرع في طياتها الزمن، تزداد دالّة الرمزية فيه وتتعمق فنية العمل بكثافته[١١] وتتجمد فاعليته وتذوب تحت تأثير ثقافة الشاعر وسعة تجربته لأنه مرتبط ارتباطاً مباشرة بالتجربة الشعورية التي يعانيها الشاعر والتي تمنح الأشياء مغزى خاصاً[١٢] وتوظيف رمز ما شعريا يرتقي في سلم الإجادة بحسب كثافة حضوره عند طرفي التواصل وما احتزنه الرمز من قدرة إدلالية ويتم قياس ذلك عبر تساؤلات يطرحها القارئ من نحو: (ماذا منح الرمز للنص؟ وماذا أضاف الشاعر للرمز؟ وبم أوحى الرمز إلى المتلقي؟) عندما تعمل هذه الإطراف بأقصى كفاءتها الفنية سيتهيء رمز جديد يولد من رحم الشعر فاللغة الشعرية استبطان، واكتشاف[١٣]، وظيفة الشاعر دائما التخلص من محدودية " المكتوب للوصول إلى رحابة المعيوش؛ ذلك كي لا يعود عندها للمكتوب ان يكون حاجزا أو عدوا لحيوية الفكرة. وهكذا فالفعل الشعري؛ باعتماد الرمز يصبح نابضا بقوة الحياة المستمرة والمتطورة دائماً"[١٤] الرمز بحاجة مستمرة إلى شحن بانفعالات الشاعر حتى ينعتق من مدلوله الأليف لدى المتلقي[١٥] يقول الدكتور وجيه فانوس "الرمز بعد غني جدا، يقول أشياء كثير تختلف باختلاف المتلقي، وطبعا باختلاف معارفه ومناحي ثقافته ومستوى طاقته على التخيل وإغناء الرؤيا الفنية. وهكذا يتحول العمل بواسطة الرمز من التقرير المجرد إلى الفعل الموحي الذي يظل منفتحا على الاحتمالات اللا متناهية... وهكذا أيضا يتحول الشاعر من إنسان يقرر حقيقة إلى فنان يدعو الآخر، المتلقي للعملية الفنية"[١٦].

ـ انهيار الزمن وانعتاق الرمز:

الحديث عن تقنيات تصير النص إبداعيا والرمز موحيا تشريح للشعور ورصد لخوالج معتمة وغامضة وسبر في أغوار الروح بحثا عن نواة شعرية عنوانها لا نهائية الرمز وانعتاقه من محدودية المعجم والوضع وهذا لن يتم الا بهمّ يلف روحا شاعرة فالجائل فيها لن يعبر عنه مألوف اللغة بل اللغة المتماهية بشاعرها، تلك اللغة دخل إليها ادونيس من أفق يحيط بنوافذها ليوحد المفاهيم بمركزية الدلالة المفتوحة ويفك اسر تصوراته باللغة ليجدها " وحدها المكان الحي، الحر، اللانهائي. إنها الحضور الغامر الذي لا يرد. لا يمكن اصطناع لغة، أو إلغاؤها. لا يمكن تأميمها أو سجنها أو اغتيالها لا يمكن عزلها أو نفيها... اللغة في هذا المكان العربي الاسلامي هي وطني ـ مفتوحا على الجهات كلها، وعلى الآفاق جمعاء.

وسكناي وسفري في التاريخ الذي اكتنزته وفي المستقبل الذي تكتنزه"[١٧] وماذا يبقى للزمن عندما تفلت اللغة من صفحات السياق وتطير في سماء الفكر الحر؟ انه تحليق لا يتنكر لجاذبية المركز ويؤمن بحق العودة هو رحلة ضرورية لاستكشاف رمزية الرمز ولإثبات أن " الشعر دائما وأبدا يقدم نفسه من جديد لكل جيل"[١٨] وقد مر أن كل الرموز صالحة لاستعمال لكن هناك رموز أكثف فعند مقارنة رمز شخصيّ بسواه يهيمن رمز الشخصية نائيا بحمل ما تراكمت عليه السنين واحتدمت فيه الصروف وما على الشاعر الا أن يستأصل الزمن ليظفر بمعنى هائم كروحه يتجه نحو الكلية والشمولية[١٩]. معنى تضيق به رحابة الكون ويقبع عليه الفكر بحيرة . فـ"مهما تكن الرموز التي يستخدمها الشاعر ضاربة بجذورها في التاريخ، ومرتبطة عبر هذا التاريخ بالتجارب الأساسية النمطية (أي بوصفها رموزاً حية على الدوام) فإنها - حين يستخدمها الشاعر المعاصر ـ لابد أن تكون مرتبطة بالحاضر"[٢٠]" أو انها محاولة " ثقب التاريخ [أو كسر سقفه] للخروج إلى أفق آخر "[٢١] هذا الانهيار الزمني وإعادة صياغته بما يلائم عتق المعنى وتوظيفه بما ينسجم مع تطلعات الشاعر يتم وفق تقنيات لا يتعسفها الشاعر إنما تأتي إليه طوعا لتلبي حاجته إلى التعبير عما اكثر من الرمز وهي لا تنحصر في حدود لكنها تشتهر في طواعية خدمتها ورصانة نوعيتها وجودة أدائها يظهر ذلك على المتلقي عندما يعيش النص الشعري .

ـ تقنيات توظيف الرمز:

لم يقف الشاعر الحديث معزولا عن هموم واقعه و ما تضمنه من دوال اصطرخت بألم تجربته وشهقت بنشوة رؤياه تدخل بها وتداخلت معه رافضا أن يكون مقررا لرموز أو راوياً لحديث أو ناقلا لخبر فالرمز وعاؤه المسكون فيه ليتماهى معه حديثا وصفات وظروفا وحوادث، ينفصل عن الواقع ليحيا معها الأمر الذي يتطلب أصالة وجدّة في التعامل فهو "أثناء عملية الإبداع والكتابة يصنع رموزه بطريقته الخاصة وفق ما تمليه عليه تجربته ورؤيته"[٢٢] ويستشعر ادونيس مركزية الانسان وقدرته على تفجير اللغة دلالات "فالعالم فنيا، اذن ليس موجودا في العالم، بل فيما وراءه. هو بالضرورة نوع من التجريد. كأن المصور المبدع يصور لكي يمحو (الصورة) بهذا المحو يخلق حضوراً - نسيج شفاف لا يحيل إلى الواقع المباشر، بل إلى معناه ودلالته. وهذان غير محدودين، وهو لذلك يحيل إلى نهائيتهما"[٢٣].

الشاعر يتقنع برموزه " ليتجاوز حدوده الطبيعية، ككائن بيولوجي، حيث ينفصل عن الطبيعة، وفي الوقت نفسه، ينظر إليها كموضوع، ويسخرها، ويمارس السيطرة عليها، والتقنية، من هذه الشرفة، أداة تحرر، ومجال تحرر، معاً"[٢٤]. وقد وجد ضالته في قصيدة القناع لأنها " تعبيرٌ مقنعٌ عن الذّات، عن رؤيتها ورؤاها، وهي مجالٌ حيوي لتوجيه التحليل والنقد لواقعٍ ثابت مُستبدٍ"[٢٥] وكلما كان واعيا برمزه كلما زادت فاعلية الرمز عبر تقنية القناع أو سواها[٢٦].

وفي سياق شعري آخر لا يكون القناع محفزا لرمزه فنجده يذهب إلى تقنية المرايا ليفتقه ويتمرأى به منفصلا عنه ليبوح بتجربته عبر مرآته ولا يشهد المتلقي الشاعر في هذه التقنية إلاّ من استراق النظر للمرآة[٢٧] " لأن القصيدة، أو الصورة الشعرية القائمة على التقابل، هي المرآة التي تعكس صورة الشاعر حاملاً مرآته"[٢٨].

ولعل التقنية السردية من أكثر التقنيات رسوخاً في تكثيف صور الرمز الموحية وتنشيط الذهن ومن ثَم جذب المتلقي إلى ساحة الصورة الشعرية حتى تكاد تخطفه من واقعه ليقف فيها وليس منها بسبب ما تقدمه لغة التقنية السردية من مزج بين الشعر والسرد. انها" لغة مقصودة لغيرها، أي لغير ذاتها الجمالية فهي لغـــة (حدثية) كناية عن الحدث و (مكانية) كنايــة عـن المكـان و (زمانيـة) كنايـة عـن الزمـان و (شخصـية) كنايـة عـن الشخصـيات و(منظورية) و(ايديولوجية) كناية عن المنظور والايديلوجيا وهكذا فهي (لغة سرديــة) في مقابل أخرى (الشعرية)"[٢٩].

وقد يستعمل الشاعر النصوص المسكونة حيوية شعرية وطاقة إيحائية تظهر أمام المتلقي كأنها كتلاً من الصور تعملُ في الذهن تشتيتاً ممتعاً في بداية الأمر يفضي إلى صورةٍ متكاملة المعالم حتى إنه يلحظ نصوصاً متناصة قد ذوبت ومزجت أعطاها صورة جديدة بلغة ولدت شابة[٣٠] يتم هذا عبر تقنية التناص حيث " تبادل النصوص أشلاء نصوص دارت أو تدور في فلك نص معتبر كمركز في النهاية تتحدد معه في واحدة من سبل ذلك التفكيك والانبناء"[٣١]. الشاعر إذا يغيب لحظة كتابة النص في النص يتماهى مع شخصياته التي قد يحسب عليها وقد تحسب عليه وما هذا الذوبان بالآخر وآليات تقديمه وتصديره إلا عبر تقنيات منحت قصيدة الحداثة حلة مميزة فأصبحت القراءة عملية انتاج أخرى، المتلقي ينتج

النص كالشاعر؛ ليتوصلا إلى تأويل ثقافي همه معرفة مستوعبة الثقافات. وعلى هذا لم يعد القارئ بفضل التقنيات كسولا إنما قارئ واع يحتكم في وعيه إلى النص والثقافة في آن واحد.

وعموماً لا يراد بسرد تقنيات التوظيف هذه تقنين الشعر فتلك إساءة له انه لا يعرف إلاّ بالشعور ولا يقتطع من منظومة قائله وبيئته الشاملة ذات التأثير فلكل شاعر رمزه يتلبس في روحه ويسري في شعره بما لا يماثل شاعر آخر يضاف إلى حنكته في تشغيل رموزه في الفرص الملحة. هكذا تكون التقنيات جزء من الشعور وليس حلة عليه.

عندما يعي ظروف شعوره تأتي فاعلية اللغة لتتحمل شعور لا يصد الا بانتزاع روح المعنى وإكسائه آخر بوساطة انسجام واتساق نصي يستهدف ولادة رسالة يتبناها المتلقي الأنموذج بمقبولية تصير حيوية النص الشعرية وتوسعة للمعنى وشعرنته فاللغة الشعرية والتقنيات والشعور والتلقي الأمثل كلها - إذا ما صهرت في حوض الشعر - ابتكارات لتكسير أصفاد الرمز وتهدم قضبان مألوفة مع حنين إلى قيوده فوشمها لا يمحى.

ـ ادونيس والماغوط إبداع متماثل ببصمة متباينة.

يتفقان على طبيعة الإبداع الشعري ذلك الذي ينفي الشاعر والمتلقي معا إلى أقصى متاهات القصيدة ليستكشفا طاقة مجددة للغة وشاحنة للمعنى وأداة لصنع فراغ دائم لا يملأ حتى يعلن الإنسان اكتفاءها من الرقي. فـ" الكتابة الإبداعية عن الشيء هي، بتعبير آخر كتابة ما خفي منه: المجهول، الغامض، ما لم يكشف. حين نكرر ما يعرف عنه، نجمده: التقليد، بهذا المعنى، تجميد للأشياء، تجميد للحياة والفكر والشعور جميعاً"(٣٢) يوضح ادنيس تصوره لعمل المبدع ومقاصده فـ" كل مبدع، في هذا المنظور، سواء بالكلمة أو بالخط أو باللون، لا يعنى بما يراه الا بوصفه عتبة لما يراه .كأن الصورة ستارا علينا ان نخترقه لنرى حقا ما وراءها، وبما ان الكون يتحول ابدا ، فان ظاهره في زوال دائم. وليست مهمة المبدع ان (يصور) هذا الزائل: ان يضع عليه الاقنعة والاصباغ بالصور، ان يثبته إذ انه، في ذلك، لا يفعل اكثر من ان يوضح ما ليس في حاجة إلى ايضاح، ان مهمته، على العكس هي ان تقيم بينه وبين هذا الزائل خطوطا واشكالا تتيح له ان يرى الحركة العميقة وراءه. ان مهمته هي في ان يضع المشاهد ن دائما وجها لوجه مع هذه اللانهائية"(٣٣).

وإذا كان ادونيس ينظّر نقديا إلى رؤيته في تفعيل اللغة وتصدير الدلالات إليها جاعلاً

من تنظيره سبيلا للتطبيق فالماغوط يقدم شعرياً سيرة ذاتية عن أسرة دخلها بغتة وعاش فيها عائلة تضمه وتحمله ويكافؤها ويفيها فضلها ماحيا من ذاكرته أمّا ولدته ليختزن في خلده اللغة مهدا آواه وبديلا أصيلا احتواه بل تمددت لتتبنى كل ما مرّ به إذ لا أحد يعادلها في الحنو. يترنم الماغوط بقصيدة أغنية المهد بمناغتها طفلا ومناجاتها شابا والدفاع عنها راشدا.

"لا اعرف - حتى الآن - كيف غافلت أمي أو جدتي

وحبوت، واللعاب يسيل من فمي وأطواقي، داخل كهف

اللغة، التي ستصير قدري في المستقبل...

وتوغلت في مجاهيل قواميسها ومعاجمها ومراجعها وفهارسها

وسحر بيانها.. ورجع مقاماتها وآياتها.. ومدها وجزرها وأغوارها..

وصمتها وهذيانها..

وقبلاتها وأظافرها..

وحضورها وغيابها..

وإيمانها وضلالها..

وشمسها وظلماتها..

وأحلامها وكوابيسها..

ومجدها وعارها..

من "ضرب زيدٌ عمراً" إلى أن نقلوه إلى غرفة الانعاش..

حيث كل حرف فيها

يحتاج إلى قارئ ليفك رموزها وطلاسمها..

والى عالم أحياء، ليكتشف أي أثر للحياة في أجرامها

ومتاهاتها..

إلى أن خرجت ملوحا بسيفي على أبواب طروادة التي

تحاصرها..

وعلى متن جوادها الأسطوري، لا في جوفه، أو بين حوافره..

وصرت أشم رائحة القصائد، كما يشم الفلاح المبكر:

رائحة الورد والزيزفون والحبق والزعفران والبيلسان وغار المجد

والتوابيت..

والسجين الريفي البعيد ثياب أمه وجدته وصوف أغنامه ويمام

نافذته، من خلال القضبان "[٣٤]

القصيدة اذن عند الماغوط كائن ذو طعم ورائحة جسد ذو ملامح يتلمسها بحواسه يعيش حارس فنار على سواحلها يترقب القافل من سفنها في متلاطم الامواج انه فلاح الشعر ومزارع خبير جرب بذور الرمز حتى هجنها في نص لا يشبه الا نفسه هذا على المستوى العام للنظرة إلى الإبداع عامة والشعر خاصة وان كان الماغوط ذاتيا في طرحه شموليا في مغزاه. لكنه وادونيس يتواصفان إبداعيهما مبينين خصوصية الذات أمام شمولية المستهدف إبداعيا.

يقول ادونيس في تأبين الماغوط " كتابة الماغوط طبيعة وأصبح من الممكن أن نؤكد: يمكن أن يكون النثر شعرا آخر. هكذا نصف كتابته بأنها حياته الثانية: بالسخرية هنا هناك، تقتحم الفاجعة، وبالجرح تمتحن اللغة، وفي بسيط العبارة يكتنز مركب الحياة "(٣٥) اما الماغوط فإنه يعلن سعة الافق المفاهيمي والشعري عند ادونيس ويطلب منه عزل بصمته عن قصيدته وتركها على ما هي عليه آمنة الا من نمو معنى وصعود لغة لا تنتمي إلى حيز المتاهة وسقاية المتلقي.

"ادونيس..

أيها النسر المتواطئ مع أعتى الرياح والعواصف!

أنا معك حتى الموت في مسيرتك المظفرة..

تحت وابل من القشع والسعال

والقيح المعمم كالبيانات الرسمية

ولكنني سأخلد قليلا إلى الراحة

واعهد اليك ببعض الزهور الاثيرة لدي،

وهي بكماء وقاصر،

ولا تعرف مواسمها

ولا الفرق بين الربيع والخريف!

فارجوك:

اسقها..

ولا تناقشها"(٣٦)

انه ادونيس المتحول في عمق الثبات والمتجدد في نواة القدم لا يقبل بالجاهز زادا ويخلد إلى الكسل. اتعب رياح عمود الشعر فما كانت منه إلا أن تستنفر معه وتلوذ في نصه ليحلق بعيدا. بحثا عن أفق لا قرار له وما من مهبط يخيم فيه هكذا تنعتق اللغة وترجع إلى انسانها مثلما ولدت حرة وسخية. فكلمته" انثى، حبلى بطاقات البداية - الخلق. وهي تضعنا دائما في أفق ما لا ينتهي. وهذا نفسه ما تفترضه حين تتحول إلى خط ذلك أن الحرف، إذ يتحول إلى خط يدخل في لا نهائية المكان: ينحني، يتماوج يتشابك، يتقابل، يتدور، ينبسط - يلبس الحركة في جميع أبعادها ويختزن جميع الإشارات"(٣٧).

هكذا يفكر الشاعران لكن الماغوط يعيش في نصه متألما ويقدم رمزه لمحة مكثفة لا يقف عندها طويلا فنفسه محتدم بالمعاني ويريد ان يصل إلى راحته عندما يختم الم القصيدة اللذيذ لم يكن يفكر بالتنظير إلى العالمي والعرض الاكاديمي كل ما يحيط به يقدمه نصا ابداعيا شعرا أو مسرحا أو سينما أو قصصا.. في حين يشد ادونيس رحال الشعر باتجاه التأسيس

والاتباع والشيوع مستهدفا النظرة الشمولية في نص ادونيس النقدي طبقت نفسها في الشعري لذا سارت رموزه بخطوات متأنية من غير عجل حاول فيها التقاط صور موحية بعمق النظر و صورة جالدت المألوف بها خلص نص ادونيس نخبويا لا حظ له من الشعبي. انه ينتقي قراءه باستمرار انتقاء يفتقد عند الماغوط فهو يكتب ألمه الذاتي لا غير حتى يشعر متلقيه في أحيان كثيرة انه لم يستحضر وقت انتاجه واذا بالذاتية تستحيل إلى شعبية ألم تنازعه عليه شعب.

ـ الحسين رمز تشاكل المعاني ومتكأ اللغة.

يحيل الرمز إلى مدلول معجمي و ووجودي مراوحا في حصن الواقع، هكذا يتفق عليه الرامزون جامدا ومغلقا على المألوف، يذاب وينصهر ويتسامى في نص الإبداع وينفتح إلى أقصى ما يكتنز من طاقة منتقلا نحو وجود آخر، يخلقه مبدع يعاونه قارئ أنموذجي في فك شفراته ويعيد صياغته ثانية هكذا تدوم صناعة الرمز ويشتغل فيها المتلقون فزعا من كساد يفضي إلى جمود لغة أرضها في فوران ابدي.

لا يخلو الرمز من نواة تدور في فلكها الكتابة، ينفك الشعر من غلافها ويعمل بعيدا عنها من غير محو مدلولها المركزي، ضروري بقاء ملامح الرمز البدائية نصيا ليشكل مرجعية يحزم اليها القارئ تأويله ويستنبعها المنتج لسقي جذور جديده المكتنز. وبين منبع الرمز و وصيرورته النصية نتشط كفاءته شعرا

كل مفردة رمز ومدى صلاحيته الشعرية تقاس بمتانة نظامه وقابليته على الاتساق مع تصورات لا تنتهي فالبحر ينشط في رمزية السعة والعمق والنهر لا يخرق حدود العطاء ولامتداد وتموز يتسمر بثنائية الخصب والنماء مع فاعلية في تبدلاته الشعرية وايوب عليه السلام جسد الصبر يروح ويغدو في طريقه وعيسى عليه السلام فاعل سلام للحرب وحلم لا يشيخ هكذا الرموز تعكف على معانيها وتغير على معاني رموز اخرى وربما تفوز في ساحة السياق إذ الفوز للأكثف فعلا في التلقي... قد يحفز الشاعر رمزاً خاملاً ويعالج رمزاً مشلولاً الا انه تحفيز ومعالجة بحدود طاقة الرمز لا حذاقة الشاعر انه لا يحلق برمز زاحف ولا يغوص بدال غريق. اذن لكل رمز حدود ومديات لا يعدوها تكمن فاعليته في استكشاف مضاربها وابعادها.

ومن غرابة رمز الحسين انه يشارك بفاعلية في إسناد النص حتى اكتفى الشعراء بقدرته الذاتية عن التقنيات وربما كسل بعضهم إذ يجده يوهج النص ويدهش القارئ بأقل عناء، عسير هو التنقيب في شدة جاذبيته وسرعة اختراقه المتلقي قبل الشاعر حتى يتوحدان فيها ويتنازاعان وجودهما بفيض منه.

فاعلية وجوده الحقيقي محملة بكل غرائب الزمن وقداسة الذات وفي واقعته عجاب تصيب العقول بمسّ حمل اشغال المكان والزمان في بضعة امتار وسويعات وتدفق الاعجاز من غير نهاية في طفل يقدمه هديه للأقدس بحنو على القتلة وبعظ على شفتين لا لأذى خرق سهم أو رمي حجر لكنما أسفا على عدو، يجاور الفرات ولا يشرب ويدنو منه فيؤثر الجواد وهو وريث نبي ليكون لغير الانسان دور ومن وراءه خيام تنوء بنساء عشقن الله وجئن مبلغات رسالة حبه ليضعن كل قدرة ملكنها أو لم يملكنها بين يدي ظل السماء، يستثمر الاجساد بتحولات المعاني مدمياً فناء الجسد بخلود المعنى انه البسيط المعقد مخزن الانا المقدس و مزجر الآخر المدنس، تلك المشغولة بالله ضامة من يبسط صدره لسهم كفاحا عن عشقه المعتق وخلفه من يعانق أشجار الرماح بترحيب حار ليبعده عن صلاة أخيرة وقدسية أطفال تلفحهم لهيب خيم ويكويهم جمر أعمدتها على مرأى مأساوي من ولي زرع جسده سيوفا ونبالا وجميع غطرسة الحروب هكذا ينصب على كله الجميل أحمال القبح لكنه يعجزهم دائما أنه الأجمل الذي استكشف مقياس الجمال.

اختزل الاخر ليعرف بضديته إياها انها كربلاء الكون بشمائل مطلق جالت على صدر القبح، حرقت بيوت عنكبوته، قطعت رأس كراهيته؛ ليذوب في أرض لا تعرف الا الحب ويطهر بغيث اقله سخاء لا محدود انه يمنح الكلمات ثقل الأشياء لتصير الكلمة كائنا نشربه نتذوقه نشمه نحس على رأسه نتطلع إليه بغرابة فالقار بالذهن عن الحسين عليه السلام ما يعيه سوى الإنسان انه رسالة الله الجسدية بعدما فقدت الرموز كفاية الأداء تطوع ليكمل مسيرة اللغة ويسخو عليها عطايا سخاءه على الوجود .

يتوهج رمز الحسين في قصيدة (الكلمات) بمأساة روح تقتل لتحيي ضمائر وتضمأ لتروي امما عطشى شهدت كلمات ادونيس على ذلك وكانت شاهد عدل

"كلمات لها ارجل وبيوت

كلمات تموت

.....

كلمات رمت قشرها، رافقتني

في طقوس المدينة

.....

كلمات تسافر في صرخة الطفولة

....

كلمات حضنت صمتها وماتت

....

كلمات هي الثورة

...

كلمات الحنين واقواسه الشريدة

كلمات تهاجر بين الغصون

كلمات تموت مع الحلم في آخر العيون

كلمات الحدود البعيدة

كلمات الافول

كلمات

شهدت جثة الحسين

وهي تبكي وتجري مع الرافدين

مت في حضنها وعشت

وطمرت شرايينها ونبشت

كلمات المجيء ـــــ

سفر معتم خطوات تضيء

في الزمان المهرول في وجهه البطيء

كلمات سفينه

في البحار الدفينه

بين نار الغموض ومزماره، الدفينه

تحت رقص الجذور

الدفينه

حيث تمضي وتمضي وتمضي

مطرا هاذيا

وتمضي

لهبا هاذيا

وتمضي..."(٣٨)

(الكلمات) اداة بناء احداث القصيدة تعادل المتكلمين إذ حضرت بديلا عنهم لتكشف غياب اللاغي فوحدها اللغة شاهدة على الكون، بعدما اختزلت التواصل وأغارت على مدلولها للتموضع وريثا له. يأخذ التكرار طابعا مألوفا في النص لم تستطع اللغة الشعرية فك اسره وزيادة سرعته في اختراق التلقي حتى شهدت الكلمات رمز الحسين لتستريح اللغة من الدوران وتغور في باطن الكثافة انها (تمشي، وتموت، وتتجدد مكسرة قشرها كالطير وراضخة وثائرة ومهاجرة وآفلة وبعيدة) يكاد النص يفقد بريقه على تنوع نشاطاته ذات الصبغة الواحدة فجميعها تنتمي إلى حقل السعي البشري باتجاهات مفروغ منها لتأتي فاعلية كلمات شهدت جثة الحسين صادمة لرتابة الحركة.

" كلمات

شهدت جثة الحسين

وهي تبكي وتجري مع الرافدين

متُ في حضنها وعشتُ

وطمرتُ شرايينها ونبشتُ"

انها تخلق ارتدادا ايحائيا غامضا ومفعما بالروحي فقد كللت الفعل البشري المتعثر بنبع من العطاء حيث تقف الطبيعة في زاوية مظلمة ويتحول جسد ظامئ لنهر يقابل الرافدين فدموعها تروي النفوس يلتحفها الكون وقاية من عذاب المادة يستدر الشاعر منها خلودا وحنوا انها جسد من شرايين انهار في ادامة أزلية تمنح ما لم يمنحه الرافدان لكوني قصّ رجلي الزمان ونسف وجه المكان بالحسين. شرايينه المتدفقة بسخاء ألهبت اللغة، صهرت جامدها هيجت غليانها لتمضي وتمضي وتمضي مطرا هاذيا وتمضي لهبا هاذيا.

تحررت (كلمات) ادونيس عندما شهدت جثة الحسين لتستريح عنده وتنطلق إلى انفتاح النص. ومنه إلى الظفر بحرية اللغة فالحياة هذا كله تحقق بفضل استطالة رمز الحسين وقيامه بنفسه مكثفا وملهما. كلمات الحسين ليست محدودة بحدود اصوات (ح، س، ي، ن) انها فوق الصوت وما وراء الحدث الاولي يفلسف ادونيس رمزية الحسين كونيّا وابعد من الزمن الواقعي انه زمن الكلمة الرامزة إلى ما هو محرج للزمن نفسه حيث لا يستطيع الزمن الواقعي إفادته حقّه بوصفه محدود بمألوف الان الحسي. ادونيس يحضر رمزيّة الحسين قصّةً متجددة وحتما بسرد جديد وبهدف متنوّع يستنطق مركزيتها الاولى ليخلق مراكز اخرى لا هوامش. فليس في رمزيّة الحسن هامشا هكذا يتفعّل (الحسين) في نصّه مصدر انبعاث وحركة وحياة وديمومة ومراجعة لايكاد يركد أو يسكت انه صاخب الحياة وعاج بألم ذي همٍ وجودي لا يكاد ينتهي .

يجاهر الماغوط بردى النهر الدمشقي الشهير بلغة معارضٍ شرس مرة وأخرى بمناجاة مناصر عاشق في (الحفيد الأزرق) ما يدعوه إلى مشاطرة الذات بين ثورة عليه وثورة له. ويتمركز رمز الحسين نقطة التحولَ في خطابه بعدما عجّ بكلمات اعتراض مرّ أوصله ان

يتوعد بسحق بردى بل إلغائه تماماً لكن ما إن دخل (الحسين) رمزا غيّر الماغوط تصوّره وبدأت مرحلة من افتكاك العدوانيّة إلى دعوة إلى استنصار قداسة وإغاثة حق .

" بردى...

كل هذه القصائد والمدائح وأفواج السياح والمصورين وزغاريد

النوافذ بمبادرة مني وعلى مسؤوليتي

ولا كلمة شكر و امتنان؟

بل بالعكس...

كل البيوت مضاءة إلا بيتي

وكل الاشجار مثمرة الا اشجاري

كل الطيور مغردة الا طيوري

كل السحب ممطرة الا سحبي

كل الابواب تقرع الا بابي

لمَ لا تختمه بالشمع الاحمر وتريحني؟

....

مع ذلك لو انصرف عنك الجميع

لن أفارقك كما تتصور

وسأبقى معك وجها لوجه

لا كعاشق بل كمحقق

كما فعلوا معي من قبل

على مرأى منك ومن ضفافك

سأنزع أعشابك واحدة واحدة كالأظافر

وأحرق ضفتيك بأعقاب اللفائف

وانا مدخن شره كما تعلم

ولن تنجدك (دمشق)

ولن تفتديك بحصاة من ارصفتها

وماذا فعلت لك عندما جف ماؤك وتكشف قاعك الموحل والمخجل أمام الغادي والرائح؟

❖❖❖❖❖

بردى...

ايها الحسين المتناثر هنا وهناك

سأستردك من النوافير والصنابير والاقداح وقدور الحساء في المطابخ

ومطرات الجنود في المعارك

وغرف الإغماء والإنعاش في السجون والمستشفيات

لأرد لك اعتبارك على طريقتي

وكما يريد شوقي والاخطل ونزار وسعيد عقل

لا اصحاب وزبائن المرابع والزرائب الليلية !

ولن احرمك من هذا الزهو ابدا...

ولكن كيف امددك لتأخذ راحتك

وفي اتجاه سيكون رأسك المعشوشب الجميل؟

على صدرها؟

أم على قدميها؟"[٣٩]

يؤسس الماغوط شعريّة نصه على البعد الانزياحي للرمز انه يشخصن النهر (بردى) والمدينة (دمشق) يعارض بردى إلى حد الثورة عليه واسئصاله من الوجود... لعدم مكافأة بردى لـ(قصائده، ومدائحه، ودعوته للسياح والمصورين والمزغردين) يطالب الماغوط متمثلا بسادن بردى بمكافأة اضخم من المتوقع انه يريد (إضاءة بيته، و أثمار شجرته، وتغريدة طيره، ومطر سحابته، وقرع بابه..) يتوعد بردى بتحقيق مرّ وبحرق ويبلغه بلا جدوى الاستغاثة بدمشق.. انه القسم المأسوي من نص الماغوط الانسان المتألم والواهم والعدواني والمتشائم.. انه يخاطب بردى المسؤول خطابا يفضي إلى كارثة تحل به وببردى معا، الماغوط يجهر بتشويه معالم بردى شكلا ومضمونا حتى أنه يستفرد به وحيدا ويتناسى انه لا يعيش من دونه فينتحر مع نزع اخر عشبة من ضفافه. لكنه يتراجع بمجرد مواءمته برمز الحسين

" بردى...

ايها الحسين المتناثر هنا وهناك

ساستردك من النوافير والصنابير والاقداح وقدور الحساء في المطابخ

..."

هنا يبدأ القسم الثاني من نص الماغوط انه النص المعادل لبردى الطاغية المسؤول حيث بردى القديس المسلوب المغدور من مدينة بأسرها يأتي رمز الحسين موضحا لضبابية الرؤية وواضعا المعاني في نصابها ومنقذا لبردى من قفص الاتهام والظلم نحو ساحة الحرية والمظلومية لتلقى التهمة على الاخر الخائن.. وتتحول مسيرة النص من صراع في الحاضر ووعيد بعدوان مستقبلي إلى اعلان اعتذار في الحاضر ووعد ببناء ومناصرة مستقبلية. انها فاعلية رمز الحسين إذ تشكل عبر تكوين نقطة تحول الخطاب فبردى نفسه ودمشق هي هي لكن ما ان نظر إلى (بردى) من زاوية رمزية الحسين الا واختلفت المعاني وانقلبت الرؤية فبحضور رمز الحسين اعيد لبردى سخاؤه وتحول إلى أب حنون على ابنائه البر به ا والى قائد فذ على جنوده طاعته.

ادونيس والماغوط يتشاطران رمزيّة الحسين في نصيهما واكثر من ذلك يتشاطر إقرانه بالنهر حضوره الادونيسي كـ(جثة) عطشة تدمع ماء وتجري مع امتداد الماء كإشارة إلى استمرار إلهامها وإروائها حتى أنها اضحت مكونا رئيسا لرافديها" **كلمات**

شهدت جثة الحسين

وهي تبكي وتجري مع الرافدين "

في حين حضوره الماغوطي يرادف بردى فهو والحسين شيء واحد فالحسين العطش هو بردى المسلوب المقهور بمن حوله انه يستحيل إلى صفة لكل افتجاع وحزن والم الماغوط يوحد وجوديا الحسين بمن يماثله.

انهما يشتركان في فكرة مصدر الارتواء والعطاء الطبيعي من غير انتظار مكافأة الا انهما يفترقان في موقف الاخر فرمز الحسين الادونيسي يحتفظ بشيء من كينونته التاريخيّة ويتحوّل إلى طاقة ثوريّة للحاضر والمستقبل يستقي من طعمها كل ناشد الخلاص فالاخر موقفه من الحسين موقف أخذ. والرمز الماغوطي يمزج الوجودات المقهورة ويرادفها سماتيّا بالحسين لكنه يفصح عن دور مغاير للاخر الاخذ باستمرار من سخاء الرمز ليطالبه باداء الواجب اتجاه التضحية بسنين طويلة من عطاء لا ينضب فاخر الماغوط عامل بغية ترميم ألم الحسين وآخر ادونيس متأمل هدفه استلهام الحسين مرة ومرات وإعادة انتاج القضية باستمرار " فثمة تناغم بين الشاعر والتأريخ أدى إلى أن يكون "النص الشعري ميداناً لحركتين متعاكستين، مرة يتحرك التاريخ بكل ثقله ومرة يتحرك النص بزمنه الآني ليدخل في التاريخ "[٤٠].

يقول ادونيس في (مرآة الشاهد)

"و حينما استقرت الرماح في حشاشة الحسين

وازينت بجسد الحسين

و داست الخيول كل نقطة

في جسد الحسين

واستبلت وقسمت ملابس الحسين

رأيت كل حجر يحنو على الحسين

رأيت كل زهرة تنام عند كتف الحسين

رأيت كل نهر

يسير في جنازة الحسين"(٤١)

الحسين في نص ادونيس محور استندت اليه القصيدة جعل مدلول اسمه المتكرر قافية يترنم بمفاهيمه عوضا عن موسيقى الصوت حتى ان كل لفظة متكررة للاسم ذاته تشعر بمعنى جديد وبتوبيخ للضمير الانساني انه يفصل في عذاب الحسين ليزيد في تعذيب الذات ويجلدها بمفردة (الحسين) ويزيد في جلد الذات البشرية عندما يهبطها إلى ما دون الوجودات فهي ذات مجهولة اوجزها باسناد الفعل إلى فاعل مجازي (استقرت الرماح... ازينت... داست الخيول..) أو ببناء الفعل للمجهول (استُلبت وقُسمت..) يعادل هذه الذات البشرية المجهولة رؤية من انسان في ما وراء الزمن الواقعي احرجته مواقف تلك الوجودات غير الانسانية فقد كان موقفها اكثر انسانية من البشر حيث (كل حجر يحنو على الحسين.. كل زهرة تنام عن كتف الحسين.. كل نهر يسير في جنازة الحسين) تتفاعل الطبيعة مع الحسين كل الطبيعة وحدهم البشر نصبوا له الفخاخ واعدوا له الحرب فرمز الحسين في نص ادونيس جزء من هبات الكون و لحظة متجددة في امتداد الزمن وموقع في كل مكان وألم في قلب كل مهموم ونظرة في عقل المتأملين واذا كان ادونيس احضر رمزيّة الحسين بمرجعياتها التاريخيّة مفصحا عن المسكوت عنه في ومالم يسرد تاريخيا بصياغته الوجودات شاهدا ومساندا . وتكاد تهيمن هذه الصورة على نص ادونيس في**(مرآة لمسجد الحسين)**

"ألا ترى الأشجار وهي تمشي

حدباء،

في سكرٍ وفي أناةْ

كي تتشهد الصلاة؟

ألا ترى سيفاً بغير غمدٍ

يبكي،

وسيافا بلا يدين

يطوف حول مسجد الحسين"[٤٢]

يحافظ ادونيس على تفاعل الطبيعة مع رمزيّة الحسين لكنه هذه المرة يضيف تلك المصنوعات التي اعدت للقتل لتقوم بغير دورها (الا ترى سيفا بغير غمد يبكي) واكثر من ذلك السياف لا تطاوعه يداه حتى انها انفلتت من جسده وطافت به قداماه حول قداسة الحسين.. لقد خلق رمز الحسين تفاعلا غريبا بين كائنات تشخصنت وشعرت وخالفة مألوفها وافقد الكائن البشري ارادته حتى خانته يداه وتخلت عن امره قدامها.. انه يؤسطر النص ويحدّث مهيمناته المضمونيّة بركزية الحسين.. وفي الوقت ذات ينطوي على توبيخ الانسان لقساوة موقفه الوجودي ويحاول عبر مفهوم الحسين ام يعيده إلى حضيرته البشرية المتأسسة على الحب لا سواه.

وفي النص الماغوطي يحضر الحسين مفهوما سماتيّا يرادفه الماغوط ويستعيض به عن دال معجمي يحاول ان يمنحه اكبر من دلالة المعجم حيث دلالة التاريخ ورمزية الحسين ذات الصبغة الاسطوريّة على الرغم من حقيقة تمثلها الزمني يستحضر الماغوط رمز الحسين في قصيدة **(سياف الزهور) في رثاء زوجته سنية صالح .**

"آه يا حبيبتي

الآن يكتمل جنوني كالبدر

كل اسلحتي عفا عليها الزمن

كل صحبتي تفرقت

وحججي فندت

وطرقي استنفدت

ومقاهي تهدمت

واحلامي تحطمت

ولم يبق لي، إلا هذه اللغة

فماذا أفعل بها،

بحروفها الملتصقة بمخارجها كبول الافعى.

أيتها الزهرة المطرودة من غابتها

ايتها العضّة العميقة في قلب الربيع

حبك لا ينسى أبدا

كالاهانة، كجراح الحسين

كل من احببت، كن نجوما

تضيء للحظة وتنطفئ إلى الابد

وانت وحدك السماء"(٤٣)

انه يتعب من ترداد الألم ومقاساة البلاء ولا يلتقط انفاسه الا بإحضار اختراق القار في الذهن من تشبيهات الحب وكأنه يتألم من الحب ايضا ألمه من الكراهية.

"حبك لا ينسى أبدا

كالاهانة، كجراح الحسين "

كعادته يتحوّل رمز الحسين لديه إلى سمة تختزل كثيرا من السرد لا يحب التوقف عنه بقد ما يكسر فيها المتوقع شعريا ويشرد بذهن المتلقي إلى ما هو ابعد من التفصيل ويشركه في فاعليّة التلقي القادمة من كثافة الرمز فالحب لا ينسى كجراح الحسين الماغوط لا يجعل الحسين محورا في نصّه انما هو جزء من لغته الشعريّة الحسين لديه مفردة ابعد من الدال المعجمي وابعد من الدال التاريخي انه دال شعري في صياغة دائمة ومتجددة له يحضر في كل نص بمفهوم مغاير يقفز على زمن وضع الدلالة فوضع الدلالة للرمز الحسين وليد نص وذهن شعري يتوقّد بالتحديث والتجديد. رمز الحسين الماغوطي يحضر التاريخ واللغة معا مضافاً

لهما خلق الشاعر. لقابليّة الرمز على التنوّع والصيرورة بمفاهيم لا تحصر.

هذا النمط من إحضار رمز الحسين الماغوطي يهيمن على نصّه مستهدفا الخروج من سجن اللغة المعجميّة إلى رحابة افق رامز استبطنه الحسين واذا كان في نصه السابق قد جاء في إطار تعبير عن حب مؤلم فإنه في قصيدته الغجري المعلم يتمثّل في ثورة ولدت مع رفضه والتصقت به كعضو في جسده بل هي في اعماق روحه وجسده ان رمزيّة واقعة كربلاء تصوغ كيانه الوجودي وتجعله لا يتوقف عن الثورة غير آبه بأحد مهما تجبّر مستضيئا بكربلاء الحسين.

"اعرف أن مستقبلي ظلام

وأنيابي شموع

اعرف ان حد الرغيف

سيغدو بصلابة الخنجر

وان نهر الجائعين سوف يهدر ذات يوم

بأشرعته الدامية

وفرائصه الغبراء

فانا نبي لا ينقصني الا اللحية والعكاز والصحراء

ولكنني سأظل شاكي السلاح

في "قادسية العجين"

في" واترلو الحساء " التي يخوضها العالم

هكذا خلقني الله

سفينة وعاصفة

عابة وحطابا

زنجيا بمختلف الالوان كالشفق، كالربيع

في دمي رقصة الفالس

وفي عظامي عويل كربلاء

وما من قوة في العالم

ترغمني على محبة ما لا احب

ولا كراهية ما لا اكره

ما دام هناك

تبغ وثقاب وشوارع..."(٤٤)

يكشف الماغوط عن السر الكامن وراء هذه الطاقة الثائرة انه جز من محددات بنيته (وفي عظامي عويل كربلاء).

لا توجد مفردة معجميّة تشبع رغبة الماغوط الثائرة سوى استعصار بيئة الحسين وإحالتها قيما متجددة حيث يغدو المعجم فقيرا فيأتي الماغوط بلفظة الماكن الحسيني ليغني نصّه بما افتقر اليه معجم اللغة اليوميّة هذا من جهة ومن جهة أخرى يزيل نصه الاستغراب من النتائج ويهيء المتلقي إلى قبول النتيجة عبر ترويضه بالرمز الحسيني فلا غرابة ان لم ترغمه أي قوة في العالم حيث تكون تظرّفت عظامه عويل كربلاء.

واذا كان الماغوط يستدرّ رمزية الحسين بين فينة واخرى كمعين دلالي متجدد فان ادونيس يستحضر الرمز الحسين محورا ليس متجدد الصياغة مثلما سبق انما مستحضر شعريا بتقنيات توظيف ناشطة.

من ذلك توظيفه تقنيّة التناص في قصيدة **(مرآة الرأس)**

(سايرته ن رصدته

غلغلت في جفونه

أيقظتُ كل شهوتي

هجمتُ واحتززته ُ...

وجئتُ.

كانت زوجتي نوار

تفتح باب الدار:

- أوَحشتني، أطلتَ، كيفَ ؟

- أبشري،

جئتك بالدهر، بمال الدهر

- من أينَ ، كيف، أينَ ؟

- برأسه...

- الحسينْ ؟

ويلكَ ، يوم الحشرْ

ويلك لن يجمعني طريقُ أو حلم أو نومْ

إليكَ بعد اليوم...)

وهاجرت نوارْ ."(٤٥)

انه يبغي الخلاص من قولبة الاشياء و محدودية النصوص في آن واحد، فهو يصوغ النصوص المنتجة سابقا ، ويذوبها في فكره، ويسطرها نصّا يرسم ثقافة انطبعت فيها خواصه، واسلوبه المتميزان، إنه ليس مجترا أو مستهلكا انما مطورا ومحورا لما هو معهود من قصة اعتيدت سرديا انه يتغيى من تناصه مع زوجة خولي المزج بين فعلين انسانيين الاول يمثل تيار الشر المعاند والاخر يمثل تيار الصلاح المناهض وهما في اصطراع دائم مهما تقاربا ليتحول النص المألوف إلى فكرة عالميّة ليؤكد مسيرة الزمن وارتفاع الانانية البشرية وكل هذا أزاد من جماليّة النص وشموليته التأويليّة حيث يتحول النص المسرود عبر تقنية التناص إلى مفهوم صالح للاستعمال عام وشامل ابعد من سياقه الموقفي.

وفي قصيدة (اغنية إلى هو) يتحرك ادونيس حركة نشطة صيرت رمزه الحسيني مفهوميّا لا مصداقيا ضيقا، متجاوزا حدود الجغرافية والمعرفة التي ولـَدَته، يكاد يكون صالحا لكل زمان ومكان لقد فعّله ومنحه طاقة ثقافية عندما رصد الروحي بالذات. وقد غاص في عمق الأشياء مبتعدا عن فيزياء المادة ولا يركّز في الشكل حتى ينتهي من صياغة المضمون وقد احضر رمزه متوسلا تقنية المرايا عبر حوار افصح عن مخبوء ذاتي.

لم أقل يا اخي انت ميت

قلت تمضي، وتعرف ماذا سيأتي

وانتهت خطواتك، لكن ظلك ما زال

يمتد طفل اليدين، ترى أنت حي،

وعيناك عيناي، والموت بيننا مرايا،

وأرى ما رأيت، اترجم نفسي لنفسي:

أترانا دم واحد؟

نتقاسم خبز الفجيعة والحب، خبز الحياة

غريبين، مستضعفين

وأنادي: انا كربلاء الحسين،

وتصرخ: يا سيدي يا حسين"(٤٦)

انه يحضر شخصيته بمرايا كربلاء والحسين

"وأنادي: انا كربلاء الحسين،

وتصرخ: يا سيدي يا حسين "

انها مرايا تكاد تخترق الزمن ويقدم بوساطته درسا في أدب الصبر الايجابي لا يقف مشلولا عند أبعاد الشخصية المصداقية إنما يصدّر رسالة تؤكد عالمية رمزه وقابليته التمرئي

بها مطلقا انه يسير نحو مفهمة كونية عبر ترميزه إياها.

الخـاتمة:

ليس في بحث حول الحسين خاتمة فالخاتمة مع الحسين تفتح البدايات وهكذا تعامل معه الشاعران على أنه بداية لخلق معنى وبداية لصياغة مفهوم انه سند معجمي مشبع بالدلاليّة ماغوطيّا عندما عزفت اللغة عن إداء دورها وتحرجت اما شاعرية الماغوط المتمردة وهو محور فكري وشخصيّة مفهوميّة مؤسطرة وكونيّة أدونيسيّا. وهنا تظهر فاعليّة رمز الحسن لديهما وكأنهما يكملان بعضهما لكنهما يتفقان على نتيجة ان رمز الحسين يمنح النص طاقة تواصليّة تحرك كل وظائف اللغة الشعريّة والتعبيرية والاعلاميّة بل ان المز يخرج من إطار اللغة ليصبح علامة سيمائيا ترجع اليها كل الرموز والدوال.. انه يصاغ مفهوميّا بما هو ابعد من الزمن الواقعي والشعري معا.. ليتم ذلك عبر تقنيات وسياقات تتجدد في كل نص وتتنوع مع كل تلقي.

Abstract

Theme of research:

The main theme is Conclusion Search run from the analytical reading predicted what in the language of the problems with a shrug poet deliver the listener, it's the moment brilliantly not enshrined in a linguistic system relationship became riveted in front of a scene signifier and signified, here Assistant to the language of the symbol comes up, ministering suffocating to fill Ritha breathing mission including the farthest from the central insularity lexical. Icon appears as an intermediary between the product and the boiling eager listener and behind it wanting to intensify the symbol and signifier's suggestion.. Whenever diving product in the consciousness of his character and depth to uncover secrets that the text is clear text and fun

Research Methodology :

Find deals hermeneutical analytical method has not ignored the role of cultural formations in the construction of poetic text and drawing his

roadmap enrichment colors on the product and the level of the recipient or communicative process in general.

Aim of the research: a sacrificial animal is divided into two sides:

The first aspect: the additional recipes unusually poetic symbolism at Al-Hussein (AS) and effectiveness of specific without other symbols symbolic and employment is clear

The second aspect: show privacy code and after the event when poets are important in terms of modernity stand on employing code-Hussein (AS) means revealed last Tosifath noodles. Besides this feature there along with common culture between them as to accumulate have knowledge on diversity to dominate their provisions culture should entitle them because Atamqa in what the Bible code.. But there is a paradox between the two in terms of stylistic text as poet text Adonis tends to mystery and multiplication symbols and techniques activated while taking text poet Maghout character of the relative clarity and not a lot of characters to the extent that is made when Adonis.

هوامش البحث

(١) لسان العرب: مادة (رمز).

(٢) الخصائص: ١: ٣٩ - ٤١.

(٣) علم اللغة العام: ٦٩.

(٤) دليل الناقد الادبي: ٦٩.

(٥)الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر: ٣٧.

(٦) نفسه: ٤٣.

(٧)النص القرآني وافاق الكتابة: ٧٥ ٧٦

(٨)الصوفية والسوريالية ص٢٠٤.

(٩)نظرية التأويل" – الخطاب وفائض المعنى: ٩٥ ـ٩٦
(١٠) لغة الشعر، قراءة في الشعر العربي المعاصر:٣٥.
(١١) الرمز الشعري عند الصوفية: ٦١
(١٢) دير الملاك، دراسة للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر: ٢٢٢.
(١٣) ادونيس :مقدمة للشعر العربي،: ٧٣
(١٤) دراسات في حركية الفكر الادبي: ٥٤
(١٥) محمد فتوح أحمد :الرمز والرمزية في الشعر المعاصر،:١٢٠
(١٦) دراسات في حركية الفكر الادبي: ٥٤ ـ ٥٥
(١٧) النص القرآني وآفاق الكتابة ..٨٧ ـ ٨٨ و توظيف الشخصيات التاريخية في الشعر الفلسطيني المعاصر، مجلة عالم الفكر مج ٣٣، ع٢، ١١٧.
(١٨) الاسطورة والرمز جبرا: ٢٧
(٢١) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر: ١٢٠.
(٢٠)الشعر العربي المعاصر،: ص١٩٩.
(٢٣) من الصورة إلى الفضاء الشعري: ١٣١.
(٢٥)كاملي بلحاج، اثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة، قراءة في المكونات والأصول، دمشق: من منشورات اتحاد الكتب العرب، ٢٠٠٤، ص٨٠.
(٢٦) الصوفية والسوريالية ص٢٠٢.
(١) أدونيس، سياسة الشعر، بيروت: دار الآداب، ط١، ١٩٩٦، ص١١٩.
(١) قصيدة القناع في الشعر العربي المعاصر: ١٦٩.
(٣) نفسه:١٧١.
(٢٧) بنية قصيدة الشخصية في الشعر العراقي الحديث: ١٧٨.
(٢٨) قصيدة القناع في الشعر العربي المعاصر: ١٣٨.
(٢٩) قال الراوي: ٨٧.
(٣٠) النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي المعاصر: ٢٣.
(٣١) نظرية النص، ترجمة: محمد البقاعي، بيروت: مجلة العرب والفكر العالمي، العدد الثالث، ١٩٨٩، ص٩٣-٩٤.
(٣٢) النص القرآني وآفاق الكتابة: ٧٣.
(٣٣).صوفية والسوريالية: ٢٠٣
(٣٤)شرق عدن غرب الله، محمد الماغوط:٥٩ – ٦١.
(٣٥) محمد الماغوط العاشق المتمرد: ١٧٧

(٣٦) شرق عدن غرب الله: ٦٣٥ـ ٦٣٦
(٣٧) الصوفية والسوريالية ٢٠٢
(٣٨) الأعمال الشعرية الكاملة: ٢: ١٨٠ـ ١٨٣
(٣٩) شرق عدن غرب الله: ١٩٧ ٢٠٠
(٤٠) الشعر والتاريخ، شعرية التناص، ناظم عودة، بغداد: مجلة الأقلام، العدد السابع و العددالتامن، ١٩٩٢، ص١٣٣.
(٤١) الاعمال الشعرية: ج: ٢٤٧
(٤٢) الاعمال الشعرية: ١: ٣٩٥
(٤٣) سياف الزهور: ١١ـ ١٢
(٤٤) أعمال محمد الماغوط: ١٦٣ـ ١٦٤
(٤٥) الاعمال الشعرية الكاملة: ٢: ٢٤٦
(٤٦) الاعمال الشعرية: ج١ / ٦١٢

قائمة المصادر والمراجع

- اثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة، قراءة في المكونات والأصول، كاملي بلحاج: من منشورات اتحاد الكتب العرب، دمشق، ٢٠٠٤،
- الاسطورة والرمز لجبرا ابراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، بيروت ١٩٨٠م
- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، لعلي عشري زايد، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م.
- الاعمال الشعرية الكاملة،لادونيس، دار الساقي، ط١، بيروت، ٢٠١٢م.
- الأعمال الشعرية الكاملة لمحمد الماغوط، دار المدى، دمشق ٢٠٠٦ م.
- بنية قصيدة الشخصية في الشعر العراقي الحديث، علي عز الدين الخطيب، اطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، كلية التربية ٢٠٠٧م .
- توظيف الشخصيات التاريخية في الشعر الفلسطيني المعاصر، مجلة عالم الفكرع٢ مج ٣٣،
- الخصائص، لأبي الفتح عثمان ابن جني(٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، ط٤، بغداد، ١٩٩٠م.
- دراسات في حركية الفكر الادبي، لوجيه فانوس، دار الفكر اللبناني،ط١ - بيروت، ١٩٩١م

- دليل الناقد الادبي للدكتور ميجان الرويلي، والدكتور سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، ط٤، الدار البيضاء / المغرب، ٢٠٠٥م.
- دير الملاك، دراسة للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر للدكتور محسن اطيمش، بغداد: دار الرشيد، ١٩٨٢ م.
- الرمز الشعري عند الصوفية، عاطف جودة ناصر، دار الاندلس، دار الكندي، ط١، بيروت ١٩٧٨.
- الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، للدكتور محمد فتوح احمد، دار المعارف ط٢.القاهرة ١٩٧٨م.
- سياسة الشعر،: أدونيس، دار الآداب، ط١،بيروت، ١٩٩٦،
- سياف الزهور لمحمد الماغوط، دار المدى، دمشق، ٢٠٠١م.
- الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٢م.
- شرق عدن غرب الله، محمد الماغوط، دار المدى بيروت، ط٢٠١٣،٣م.
- الشعر والتاريخ، شعرية التناص، ناظم عودة بغداد: مجلة الأقلام، العدد السابع والعدد الثامن، ١٩٩٢م
- الصوفية والسوريالية، لادونيس، دار الساقي، ط١، ١٩٩٨م
- علم اللغة العام، لفردينان دي سوسير، ترجمة الدكتور يوئيل يوسف عزيز، مراجعة الدكتور مالك يوسف المطلبي، دار آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥م.
- قال الراوي، الدار البيضاء، سعيد يقطين المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٧م
- قصيدة القناع في الشعر العربي المعاصر، عبد الرحمن بسيسو، مطبعة الجامعة الاردنية، ط١، عمان، ١٩٩٩م.
- لسان العرب، لابن منظور(٧١١هـ)، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، (د.ت).
- لغة الشعر، قراءة في الشعر العربي المعاصر لرجاء عيد، منشاة المعارف، مصر، ٢٠٠٣م
- محمد الماغوط العاشق المتمرد، للدكتور علي القيم، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ٢٠٠٦م
- مقدمة للشعر العربي، لأدونيس، دار العودة، ط٣ بيروت١٩٧٩.
- من الصورة إلى الفضاء الشعري، ديزيره سقال، دار الفكر اللبناني، ط١ بيروت، ١٩٩٣.
- النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي المعاصر، محمد عزام من منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق ٢٠٠١ م
- النص القرآني وآفاق الكتابة، ادونيس، دار الاداب، ط٢، بيروت ٢٠١٠م
- نظرية التأويل" – الخطاب وفائض المعنى –" ل :بول ريكور- تر :سعيد الغنمي .المركز الثقافي العربي ط١ الدار البيضاء-المغرب- ٢٠٠٣م
- نظرية النص، رولان بارت، ترجمة: محمد البقاعي، بيروت: مجلة العرب والفكر العالمي، العدد الثالث، ١٩٨٩.